الأب ...

مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ محمد محمد حمدى

هو كاتب فى وزارة المعارف ومنزله فى إحدى ضواحى باريس ، ولذلك كان يركب عربة « الأمنوبيس » فى صباح كل يوم من منزله إلى الوزارة ؛ وكان يجلس دائماً أمام فتاة يشعر نحوها بعاطفة الحب

وكانت الفتاة تذهب إلى المحل الذى هى عاملة به ؛ وهى سوداء العينين بيضاء الجسم ناصعة البياض كأنها تمثال من العاج . وكان يراها تقبل كل يوم من منعطف فى نفس الطريق ، وكثيراً ما كانت تجرى لتدرك العربة وهى سائرة وتتعلق بها قبل أن يقف الجوادان ، ثم تجلس فى المكان الخالى وهى تلهث من التعب وتدير لحظها فيما حولها

يبكون . وأعاد هاريس استجوابه ، والخمار يتفصل وهو يتوعده بأقسى العقوبات إذا لم يعترف ، ويعده بتخفيف العقوبة إذا اعترف

فلما لم يجد ذلك جلس هاريس أمام المنضدة وكتب بلاغاً وسلمه للحارس وأمره بأن يذهب به إلى رئيس البوليس

عند ذلك تبادل الخمار وزوجته نظرات ثم همس فى أذنه فقال : « لا ترسل البلاغ وأنا أعترف لك »

فأخر هاريس إرسال البلاغ ، وجلس بهيئة جدية ، وصار يصغى إلى الاعتراف ، واعترف الخمار بأنه هو وصهره قتلا (أدى مالك جارى) وتركاه فى الكهف

عند ذلك ضحك كامبل ضحكة عالية وقال : « لقد قبض بالأمس على مالك جارى فى باريس »

فدهش هاريس وقال : « إذن فما الذى رأيناه فى الكهف ؟ »

فقال كامبل : « هو خنزير ميت »

ثم خرج من الخان .

عبد اللطيف النشار

ومنذ رآها « فرنسوا تاسيه » أعجب بجمالها ، وكانت الفتاة وفق أمانيه ورغائبه وصورة لخيال الحسن المنطبع على قلبه فأحبها من صميمه قبل أن يتعارفا

كان لا يستطيع أن يرد بصره عنها ، وكانت تخجل من من نظراته وتضطرب ، وقد أدرك ذلك فحاول أن يغض من بصره ولكنه على غير إرادته كان يعود بين لحظة وأخرى فينظر إليها . وبعد أيام قليلة عرف كل منهما الآخر وإن لم يتكلما . وكان يترك مكانه ويقف خارج العربة إن أقبلت الفتاة والعربة مزدحمة . وكانت الفتاة إذ ذاك تحييه وهى مرضية أهدابها حياء من نظراته ولكنها مع ذلك لم تكن تغضب من هذه النظرات

وأخيراً تحادثا ونشأت بينهما مودة سريعة ، وكان يقضى أمامها نصف ساعة فى كل يوم . ولكن هذه الأنصاف من الساعات كانت فتنة العمر . وكان يفكر فيها بقية يومه ويرى طيفها ماثلاً أمام عينيه ، لأن حبها كان مستحوذاً على خياله متسلطاً على قلبه باعثاً فى نفسه تلك السعادة الجنونية التى يخال صاحبها أنه فى عالم غير عالمنا الإنسانى

وصارت تصافحه كل يوم فيحتفظ بالإحساس الذى تثيره هذه اللمسة الرقيقة من أصابعها الصغيرة فيظل ناعماً بإحساسه هذا إلى الصباح التالى وكان يقضى يومه وليله فى انتظار الساعة التى يركب فيها الأمنوبيس ، وما كان شىء أبغض إليه من أيام الآحاد لأنه لا يستطيع فيها أن يراها . وكانت الفتاة تحبه بغير شك . وفى يوم سبت من أيام الربيع وعدته بأن تتعشى معه فى اليوم التالى بمطعم فى ضاحية أخرى

* * *

التقيا فى صباح الأحد عند المحطة ففاجأته بقولها : « أريد أن أكلمك قبل أن نذهب ، لقد بقى عشرون دقيقة على سفر القطار وهى كافية لما أريد أن أقوله »

وكانت ترتعش وهى تقول ذلك ، وتعلقت بذراعه وقد اصفر لونها ونظرت إلى الأرض واستمرت تقول : « أريد ألا تنخدع بى ، ولن أذهب معك حتى تعدنى وتقسم بأن تكون شريفاً معى »

ثم اصطبغ وجهها احمراراً ولم تزد ، ولم يعرف بماذا يجيب

لأنه كان مضطرباً رغم شعوره بالسعادة فى هذا الحين ، وربما كان يتمنى من صميم فؤاده أن يكون كما ترجو ، ولقد كان يعرف أن حبه لها سيقل إن وجد منها خفة وطيشاً ولكنه كان أنانياً كسائر الرجال فى الحب

ولما لم يقل شيئاً عادت الفتاة إلى الكلام بصوت مضطرب وعيناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « إذا لم تعدنى باحترامى فسأعود إلى المنزل »

فضغط على ذراعها برفق وأجاب : « أعدك بأن أسير على ما تريدين »

فزال اضطرابها وقالت وهى تبتسم : « هل تقسم على ذلك ؟ »

فقال : « أقسمت »

قالت : « تعال إذن نشتر التذاكر »

ثم ركبا القطار ولم يتكلما إلا قليلاً لأن العربة كانت مزدحمة فلما وصلا إلى الضاحية مشت معه إلى شاطئ السين ، وأطلت على مائه المنعكسة عليه أشعة الشمس ، وقالت : « ما أراك تظننى إلا حمقاء » . قال : « لماذا ؟ » . فقالت : « لأننى جئت معك وحدى إلى هذا المكان »

قال : « كلا . كلا . بل هذا شىء طبيعى ! »

فقالت : « إنه ليس طبيعياً بالنسبة لى ، ولكنه من الممل أن تتشابه الأيام والأسابيع والشهور ، فإننى أعيش مع أمى معيشة لا تجديد فيها ولا تغيير . وهى عابسة دائماً لكثرة ما تعانيه من السأم ، وأنا أحاول التغلب على نفسى وأخفف لأقل مناسبة . ولكن لا فائدة من ذلك . وقد أخطأت إذ جئت وما كان تخلق ليحزنك »

عندئذ قبلها فرانسوا قبلة حارة ، فنفضت فجأة وصاحت : « ما هذا يا مسيو فرانسوا ! أبعد أن أقسمت ؟ »

ثم مشيا إلى المطعم وهو بناء صغير منخفض عن الأرض ، أمامه أربع شجرات . وبعد أن تغديا فى صمت وشربا القهوة عادت الفتاة إلى المرح ، ومشت معه على شاطئ السين ، وسألها عن اسمها فقالت : « لوسى » فأعاد اسمها « لوسى » ولم يقل شيئاً . وأخذت الفتاة تجمع الأحقوان النابت على الشاطئ ، وظل يغنى فى طرب كالنشوان ، وهما يمشيان تحت الكروم حتى ابتعدا نحو ميلين عن المدينة ، ولاح لهما بساط سندسى من الخضرة ، فأشار إليه ، وقالت : « ما أبهجه ! » ثم مشيا نحوه فجلسا على العشب ، وكان يتضوع حولهما عبير الأزهار التى أكسبها شعاع الشمس ألواناً مختلفة

وأغمضت عينيها وهى لا تعلم شيئاً غير تلك القبلة ولا تفكر فى شىء آخر ، وهى شاردة اللب مهتاجة الشعور من الرأس إلى القدم . ولكن سرعان ما شمرت بالخطب وبكت من الحزن وهى تستر بيديها وجهها ، وحاول أن يعزيها وهى تأبى إلا العودة فى الحال وصار يستمهلها وهى تأبى ، فلما نزلا من المحطة فى باريس تركته بغير أن تحييه .

* * *

ولما رآها فى الأمنويس فى الصباح التالى خال أنها أشد تحولاً وقالت : أريد أن أكلمك ، فتعال نتزل . ونزلا ، فقالت له : يجب أن نفترق ، فما أستطيع رؤيتك بعد الذى حدث

فقال : لماذا ؟

أجابت : لأنى لا أريد ، وقد أصبحت خاطئة وما أحب أن أعود

ولكنه توسل إليها ، وقد اشتدت به الرغبة فى امتلاكها . فقالت : كلا . كلا . فلا أستطيع ...

فألح ووعدها بالزواج ، ولكنها رفضت وتركته ، ومضى أسبوع لم يرها فيه ، ولم يكن يعرف عنوانها . وفى اليوم التاسع دق باب غرفته ، ففتحه ورآها تلقى بنفسها بين ذراعيه ، ولم تعد تقاومه . ومضت ثلاثة أشهر ، وهى تعيش معه معيشة الخليلة ، وبدأ يسأم منها . فلما أخبرته أنها حامل ، عزم على هجرها وقطع صلاته معها ، ولكنه لم يعرف الوسيلة إلى ذلك ، حتى جاء فى ليلة من الليالى ، فترك ذلك المسكن ، ولم يخبرها بمسكنه الجديد . ولقد كان وقع هذا شديداً على نفس الفتاة ، ولكنها ذهبت إلى أمها باكية وركعت عند قدميها واعترفت بالأمر كله . وبعد أشهر وضعت طفلاً

* * *

مضت سنوات وأصبح فرانسوا كهلاً ولم يتغير شىء من

نظام حياته بل ظل على المعيشة المملة بلا أمل ولا أمنية ؛ وكان كل يوم يمشي من طريق واحد ، فيجلس على مكتب واحد ويؤدي عمله الواحد . وفي أول كل شهر يتقاضى مائة من الفرنكات يستعين بها على شيخوخته . وفي أيام الآحاد يذهب إلى « الشانزليزيه » ليراقب المتنزهين فيها

وفي يوم من هذه الأيام بهت لما رأى سيدة تتنزه ومعها صبيان ، أحدهما يبلغ العاشرة والثانية تبلغ الرابعة . وكانت هذه السيدة هي صاحبته ، فمشى نحو مائة متر ثم ارتمى خائر القوى على كرسي ، ولم تكن السيدة قد لاحظته . وبعد قليل عاد لكي يراها مرة أخرى ، وكانت قد جلست والصبي واقف بجانبها في سكون والطفلة تجري وتلعب

ونظر إليها فلم يشك في أنها هي وكانت نظراتها نظرات حزن وثيابها بسيطة وكان يراها عن بعد لأنه لا يجرؤ على الدنو منها ولكن نظره قد وقع على الصبي فارتعش وعرف أنه ابنه لأنه يشبه صورته وهو في ذلك العمر . ثم اختفى وراء شجرة حتى تقوم فيتبعها إلى منزلها

ولم ينم في تلك الليلة وكاد يجن من التفكير في ابنه وسأل أهل الحي عنها فقيل له إن أحد جيرانها قد أخذته الشفقة عليها بعد ذلك الحادث فتزوجها وربى ابنها ، ثم ولدت له البنت

صار فرانسوا يتردد على الحديقة كل يوم من أيام الآحاد . وكان في كل مرة يكاد يجن شوقاً إلى عناق ابنه وتقبيله والعودة به ، ومن ذلك العهد صار يتألم من الوحدة وأحس إحساساً مضاعفاً بالغيرة والندم والحاجة إلى النسل . ثم عزم على خطة لا يقدم عليها غير اليائس ، فذهب إليها ووقف أمامها وقال وشفتاه ترتعشان : « ألا تعرفيني ؟ » فنظرت إليه وصاحت صيحة رعب وفزع ، ثم أخذت ابنها وخرجت من أمامه ، وعاد هو إلى المنزل باكياً ، ومضت أشهر لا يراها ، وكان ألمه يزداد يوماً فيوماً حتى تمنى الموت على أن يقبّل ابنه قبل أن يموت ، وكتب إليها فلم تجبه حتى بلغ ما كتبه عشرين خطاباً . ثم بدا له في حالة من اليأس أن يكتب إلى زوجها واستمد لأن يكون الجواب رصاصة من مسدس ، وكان هكذا خطابه : « سيدي ! لا شك أن اسمي يزعجك ولكنني في أشد البؤس والتعاسة ، ولذلك أجرؤ على استئذانك في مقابلة قصيرة »

وفي اليوم التالي وصل إليه الرد وهو هكذا : « سأنتظرك غداً في الساعة الخامسة »

* * *

ذهب إليه وهو خافق القلب حتى اضطر إلى الوقوف في السلم عدة مرات . ثم فتح له الباب ودخل حجرة الاستقبال ، فوجد الزوج جالساً في صدرها ، وهو طويل القامة عريض المنكبين ، وقد بدا عليه أنه يتوقع خطباً ، وأشار الزوج له بالجلوس فجلس وقال : « لعلك لا تعرفني ولم تسمع اسمي ... »

فقاطعه الزوج قائلاً : « بل عرفت كل شيء من زوجتي » قال فرانسوا : « أنا يا سيدي لم آت إلا لأقول لك إنني أسفت وندمت وحزنت ولا أطلب غير أن أقبل ابني ... »

فدق الزوج الجرس وأمر بإحضار الصبي (لويس) فدخل الغرفة صبي في العاشرة مندفعاً لرؤية الذي اعتقد أنه أبوه فوجد معه رجلاً أجنبياً فقبله الزوج ثم قال له : « إذهب فقبل هذه اليد »

فذهب الصبي ونظر إلى الضيف وكاد يغمى على فرانسوا . وقام الزوج فأطل من النافذة . وفي هذه الأثناء سقطت القبعة من يد الضيف فتناولها الصبي وأعادها إليه .

وعند ذلك أخذه بين ذراعيه وبدأ يقبله فوق خديه وعينيه وعلى جبينه وفمه وشعره ؛ فانزعج الصبي من هذه القبلات ودفع وجه الرجل بكلتا يديه ، فقام الرجل المسكين ووضع الصبي على الأرض وقال : « وداعاً ! »

ثم خرج متسللاً من الغرفة كأنه لص .

محمد محمد حمدي

إعلان

يعلن تفتيش ري القسم الخامس بقنا الجمهور بأنه قد فقد من مكتب قناطر اسنا دفتر قسائم متحصلات رقم ٣٣ ع . ح . من نمرة ٢٦٢٠٤١ إلى نمرة ٢٦٢٠٦٠ .

فعلى من بيده قسائم من الدفتر المشار إليه تقديمها لمكتب قناطر اسنا في بحر شهر من تاريخ نشر هذا الاعلان . ٧٠٠١

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين }